

النحو التعليمي أصل النشأة والتطور

بحث مستقل من رسالة ماجستير

الباحث

سلام مهدي حسين

إشراف أ.م.د.

مهدي حارث الغانمي

The present study aimed to shed light on the educational grammar of the fourth century AH and to reveal its roots reaching to the modernists, and how the grammar lesson was accompanied it from the beginning. The earliest distinguished between tow type of grammatical lesson ,the first took on the study of grammar in a comprehensive manner surrounded by all components using tools from outside this science and this is what the term used by today's scholars in scientific or theoretical. The second type utilize to learn people the essentials of Arabic language, consider the late words when they write or read, It had a method and a special style distinguished from the first stylelt has been called the educational curriculum and is characterized by brief and abbreviated and away from the philosophy and complexity and the use of other sciences. The methods of the authors in second type of grammatical lesson may tend to be easy and the differences and the multiplicity of views and so on

أولاً: النحو والتعليم ... بواكير الجذور والنشأة

إنّ الاشتغال في البحث الأكاديمي يتطلب - ابتداءً - الخوض في تفكيك بنية العنوان ومتابعة المسارات المنهجية التي تنتمي إليها كل مفردة من مفرداته، ومن هنا صار لازماً على البحث وضع اليد على بدايات كلّ من (النحو - التعليم - النحو التعليمي) ومتابعة اشتغالات كلّ منها؛ لأجل جمعها في مسارات تتيح للبحث وضع تصوراتهِ ورؤاه التي سيعمل - في ما بعد

- على السير على وفق منوالها منهجياً، وفي ذلك أجمع تواجه الباحث مشكلة البدايات التي تشترك مع المصطلحات القارّة حديثاً، في محاولة توحيد الجهود الرامية إلى فرز امتداد كل مصطلح عبر جذوره الأولى في التراث مع احتقَاب مقولة إن أصعب الصعوبات الخوض في البدايات.

ومن هنا توضع اليد أولاً على المعنى المعجمي لكلمة (نحو)، التي وردت في كتاب العين بمعنى ((نحوت نحوه أي قصدت قصده))^(١). أمّا في مقاييس اللغة فقد وردت مفكّكة صوتياً على نسق ((النون والحاء والواو كلمة تدلّ على القصد، نحوت نحوه، ولذلك سمّي نحو الكلام لأن يقصد أصول الكلام فيتكلم حسب ما كان العرب تتكلم به))^(٢).

أمّا صاحب لسان العرب فقد توسّع أكثر في دلّالته بقوله: النحو القصد، والطريق، والجمع أنحاء، ونحو، وفي بعض كلام العرب: إنَّكم لتنتظرون في نحو كثيرة؛ أي ضروب من النحو. ويقال: نحوت نحوك؛ أي قصدت قصدك، ومن خلال ذلك تظهر الرواية المشهورة، التي تشير إلى أنّ أبا الأسود الدؤلي وضع وجوه اللغة العربية، وأصولها وقال للناس: انحوا نحوه، فسمي نحواً، وفيه سمي النحوي لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب، وفيه نحا الشيء إذا صرّفه، ومنه سُمي النحوي؛ لأنّه يصرّف الكلام إلى وجوه الإعراب، ومنه أنحى عليه أو انتحى إذا اعتمد عليه، ومنه الانتحاء وهو الاعتماد على بعض دون بعض^(٣). وقد شمل ذلك المعنى أيضاً صاحب القاموس المحيط بقوله: النحو الطريق، والجهة. والانتحاء: اعتماد الإبل في سيرها على أيسرها جد، وفي الشيء اعتمد^(٤).

ومما تقدّم يمكن وضع خلاصة تشير إلى أنّ كلمة (النحو) في اللغة تدل على القصد والجهة، والطريق، والاعتماد، وكلها معانٍ تفيد الالتزام والاختصاص بالشيء دون غيره، وانتهاج طريقة دون أخرى، للافتقار إلى صلاحية السبل المتعددة مقابل نجاعة الطريق الواحدة والقصد المباشر إليها.

١ - كتاب العين، الخليل: ٣ / ٣٠٢، باب الحاء والنون.
٢ - مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥ / ٤٠٣، باب النون والحاء والواو.
٣ - ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ١٥ / ٣٠٩-٣١٠، باب نحا.
٤ - ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٤ / ٥٧١، باب الواو فصل النون.

أما المعنى المعجمي لكلمة (التعليم)، فقد وردت في معجم مقاييس اللغة بمعنى ((تعلمت الشيء، أخذت من علمه))^(٥). في حين ينقل ابن منظور (ت ٧١١هـ) عن أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) نصاً فيه تفصيل يتسع للتفريق بين مسارين: ((قال ابن جني: لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزولة له، وطول الملابس، صار كأنه غريزة، ولم يكن دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان عالماً لا متعلماً))^(٦).

ومن هذا الوصف يتضح أنّ الغريزة بعد المزولة والملابس تتطابق مع ما حكاه الصرفيون في دلالة (فعل)، (علم) على التكاثر والمطاوعة، وهو الأمر الذي يعيه الرضي الاسترابادي (ت ٦٨٨هـ) حين يفصل القول بصيغة (فعل) التي هي من المطاوعة فيقول: ((المطاوعة في اصطلاحهم التأثير وقبول أثر الفعل ... نحو علمته الفقه فتعلمه، أي قبل التعلم، فالتعليم تأثير، والتعليم قبول لذلك الأثر))^(٧).

ويبدو لي أنّ الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٠هـ) قد استوعب ذلك المعنى ووفق في التفريق الدقيق بين التعلم والتعليم حين قال: ((وأعلمته وعلمته في الأصل واحد، إلا أنّ الإعلام بما كان بإخبار سريع، والتعلم اختص بما يكون بتكرير وتكاثر حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم))^(٨).

ومن هنا صار التفريق الدقيق بين المصطلحين، ملزماً؛ على الرغم من اشتراكهما في الدلالة العامة فـ ((التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني، والتعلم تنبيه النفس لتصور ذلك))^(٩).

و((التعليم والتعلم واحد بالذات واثنان بالاعتبار؛ لأنّ شيئاً واحداً هو إسباق ما إلى إكساب مجهول بمعلوم، يسمّى بالقياس الذي يحصل فيه تعلماً، وبالقياس الذي يحصل منه تعليماً، كالتحرك والتحريك))^(١٠).

٥ - مقاييس اللغة: ٤ / ١١٠، باب (ع، ل، م).

٦ - لسان العرب: ١٢ / ٤١٧، مادة علم.

٧ - شرح شافية ابن الحاجب: ١ / ١٠٣.

٨ - المفردات في غريب القرآن: ٢ / ٤٤٦.

٩ - نفسه: ٢ / ٤٤٦.

١٠ - كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ١ / ٧٠٠.

أما الخلاصة التي يمكن تسجيلها بعد معرفة دلالة النحو، بوصفه قصداً، ودلالة التعليم بوصفه أخذ العلم بعد المزاولة والملازمة وتأثير وقبول أثر، فيمكن القول: إنّ النحو (النحو التعليمي)، في معناه العام، يشير إلى القصد في طلب العلم والمزاولة عليه وقبول تأثيره؛ ذلك أنّ العملية تستلزم وجود طرفين: الأول معلّم، والآخر طالب علم؛ ولكي تتجع العملية التعليمية، فلا بد من وجود معلّم يُدَلِّل على المتعلّم الصعوبات، ويفكّ الغوامض. يقول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ): ((ولهذا كان السند في التعليم في كلّ علم، أو صناعة إلى مشاهير المعلمين فيها، معتبراً عند كل أفق وجيل))^(١١).

فإنّ للمعلّم الأثر البالغ على المتعلّم، وإنّما يكون ذلك بقدر مكنته وحذقه في علمه، وتمكّنه من ناصيته، فضلاً عن الطريقة في التعليم ومدى جدوتها، ((وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلّم في الصناعة وحصول ملكته))^(١٢). هو الأمر الذي شغل بال الفقهاء الذين يخوضون في علوم الشريعة، مركزين على ثنائية (المعلم والمتعلم)، إذ يقول أحد الفقهاء: ((والتعليم إنّما هو هداية المعلم الخبير ذهن المتعلّم وإرشاده إلى ما يصعب عليه العلم به، والحصول عليه، لا ما يمتنع فهمه من غير تعليم، فإنّما التعليم تسهيل للطريق، وتقريب للمقصد، لا إيجاد للطريق، وخلق للمقصد، والمعلم في تعليمه إنّما يروم تريب المطالب العلمية، ونضدها على نحو يستسهله ذهن المتعلّم، ويأنس به فلا يقع في جهد التريب، ووكد التنظيم، فيتلف العمر، وموهبة القوة، أو يشرف على الغلط في المعرفة))^(١٣).

أما في العصر الراهن، فقد استقرّ مصطلح التعليم واتّضحت دلالاته ضمن مجالات متنوعة؛ تربوياً وسيكولوجياً، كما تنوعت طرائقه وأساليبه وفنونه، ومن تعريفاته عند المحدثين أنّه ((مقاسمة المعرفة مع الآخرين بطريقة نظامية))^(١٤).

ثانياً: النحو التعليمي ... الاصطلاح والدلالة

إنّ المتابعة الدقيقة لسيروية المصطلحات وتشكّلها استقرارها، تقضي إلى وجود طرائق عدّة، كان أكثرها شيوعاً وجود انطباعات مسبقة وإشارات مبعثرة في المدونات التراثية في المنظومة

١١ - مقدمة ابن خلدون: ٥٣٧.

١٢ - نفسه: ٤٩٧.

١٣ - الميزان في تفسير الميزان، الطباطبائي: ٩٨/٣.

١٤ - معجم العلوم النفسانية: ١٩١.

العربية القديمة؛ سعت جهود الباحثين إلى نفض الغبار عنها ورعايتها وتعهدها، وصولاً إلى مرحلة الاستقرار والثبات، مقابل الطرق الأخرى التي تترىص بالوفاء الغربي والعمل على تبيينه عربياً من خلال استثمار إمكانيات العربية في الترجمة، والبحث عن بديل مناسب، أو اللجوء إلى التعريب تخلصاً من الفروق الجوهرية، فكرياً واجتماعياً وإيديولوجياً، بين الحضارتين العربية والغربية.

الإشارات التي فاضت بها المدونات النحوية التراثية، تفصح عن وجود جذور قلقلة لمصطلح (النحو التعليمي)، وهو يحاكي وجود نمطين من النحو بقيا يسيران جنباً إلى جنب، متداخلين متشابهين في الدرس النحوي مع تباين دقيق في وجهات نظر أصحابها، وذلك من ضمن مسيرة طويلة تمكن بعدها الباحثون المعاصرون من استتطاق تلك الإشارات، والإفادة من التصورات المرافقة لها، وصولاً إلى محاولة صك المصطلح حتى صار مصطلحاً قارراً ثابتاً.

لقد أشاع علماء العربية إلى ضرورة تحديد نمطين من علوم اللغة يفيد الأول حصول ملكة الكلام والكتابة بوصفهما إجراءً علمياً، مقابل ما هو نظري متخصص ينفع في البحث والاطلاع العلمي، والإحاطة بفلسفة اللغة وقواعدها، فنحن، إذن، بإزاء اتجاه يصلح أن يكون مادةً للمتعلمين، وبه يصلح اللسان، وتستقيم الملكة، واتجاه آخر غايته أن يكون علماً محضاً للعالم دون المتعلم، وفيه يقف صاحبه على فلسفة اللغة وتأويلها، وعللها، ولهجاتها، وشاذها، ومطردها وغير ذلك. ولعلّ من أوائل الإشارات إلى هذا المعنى وهذا التفريق بين الاتجاهين، ما ذكره خلف الأحمر (ت ١٨٠هـ) في الكتاب المنسوب إليه (مقدمة في النحو)، إذ قال: ((لما رأيت النحويين، وأصحاب العربية قد استعملوا التطويل، وكثرة العلل وأغفلوا ما يحتاج إليه المتبّلغ في النحو من المختصرات، والطرق العربية المأخذ الذي يخفى على المبتدئ حفظه، ويعمل في عقله، ويحيط به فهمه، أمعنت النظر في كتاب أولفه، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به عن التطويل، فعملت هذه الأدوات ولم أدع فيها أصلاً، ولا أداة، ولا حجة، ولا دلالة، إلا أملت فيها، فمن قرأها، وحفظها، وناظر عليها، علم أصول النحو كلّها، مما يصلح به لسانه في كتاب يكتبه أو شعر ينشده، أو خطبة يلقيها، أو رسالة يؤلفها...))^(١٥).

وربّما كان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) أكثر وضوحاً في التأكيد على فكرة أن التعليم للنحو يكون لذاته، فهذا لا تتحقق الفائدة المرجوة، بل مضيعة للوقت، حين قال: ((وأما النحو فلا تشغل فيه قلب الصبيّ منه إلّا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به، ومذهل عما هو أردّ عليه، من رواية المثل والشاهد، والخبر الصادق، والتعبير البارع، وإنّما يرغب في بلوغ غايته، ومجاوزة الاقتصار عليه، من لا يحتاج إلى جسيمات الأمور، والاستنباط لغوامض التدبير، ولمصالح العباد والبلاد، والعلم بالأركان والقطب الذي تدور عليه الرحي، ومن ليس له حظّ غيره ولا معاش سواه، وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطرّ إليه شيء))^(١٦).

هذان النصّان يشيران إلى وعي مبكّر لخلف والجاحظ، واتفقهما على أنّ النحو وسيلة لا غاية وأنّ الغاية هذه تتجلى بحصول الملكة اللغوية وعصمة اللسان من فاحش اللحن في المواطن التي يحتاج فيها المتكلّم إلى اللغة، بحيث يسلم بها أداؤه إذا تكلم أو كتب، والذي يصح أن يكون مادّة للتعلّم هو ما كان يصب في معرفة كلام العرب وانتحاء سبلهم في كلامهم، ولعلّ في ذلك ما يسوّغ ذهاب النحاة إلى جعل العلل الأولى تتمركز حول العلة التعليمية التي يتوصّل من خلالها إلى معرفة كلام العرب.

تقول الدكتورة خديجة الحديثي وهي تعرض أنواع العلل لما ذكره الزجاجي في الإيضاح إنّ العلل الثلاث لكلّ منها حكمها فالتعليمية يتوصّل بها إلى معرفة كلام العرب، فهي ضرورية لتحقيق غاية النحو التعليمية^(١٧). وهذا ما نجده ماثلاً في المدونة النحوية فإن ((المتتبع لكلام ابن السراج يجد فصلاً واضحاً بين لونين من الدرس النحوي، يعتمد الأول إلى معرفة الطريق التي يتوصّل بها إلى معرفة كلام العرب، والجري على سننها في التعبير إفراداً وتركيباً مما يجوز أن نطلق عليه (النحو الوظيفي)، ويخلص النوع الثاني إلى الكشف عن القواعد الكلّية التي تردّ إليها مسائل النحو والصرف طلباً لمعرفة أصول هذه اللغة))^(١٨).

١٦ - رسائل الجاحظ: ٣ / ٣٨.

١٧ - أنظر، المدارس النحوية: ٤٤٤.

١٨ - فهارس كتاب الأصول في النحو لابن السراج، محمود محمد الطّناحي: ٤.

ويبدو ذلك واضحاً في كتابه الأصول، حين بيّن ما هو ضروري للشادي وبين ما يكون طلبه للعالم المتمكّن، الذي ارتقى في درجات النحو أعلاها حين قال: ((ولمّا كنت أعمل هذا الكتاب للعالم دون المتعلّم، احتجت ما يقرب على المتعلّم))^(١٩). ويذكر في موضع آخر من كتابه هذا: ((فيه درية للمتعلّم ودرس للعالم بحسب ما يصلح في هذا الكتاب))^(٢٠).

وغير ذلك من الإشارات التي وردت في كتابه، مما يدلّ دلالة واضحة على الفصل بين النمطين، وعناية الأوائل من النحاة بالنحو التعليمي، الذي يقرب على الشدا والمبتدئين أمر تحصيله.

ولم يغفل المفكرون واللغويون العرب في عصر الحضارة وازدهارها دلالة النحو التعليمي، وفصلها عن النحو العلمي، وتقريب كلّ اتجاه إلى مساره الصحيح، وبعبارة أخرى: التفريق بين المتطلبات اللغوية العامّة وبين ما يقتضيه التفرّغ التّام لعلوم العربيّة والتخصّص فيها والتوغّل إلى كلّ جزئياتها^(٢١).

فابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) ((يفرّق منذ القرن الخامس الهجريّ بين النحو من حيث هو علم فاضل درجه حسن وباب من أبواب المعرفة، وبين ما هو ضرورة لتقويم اللسان، ووسيلة لقراءة الكتب الجامعة لمختلف العلوم وفهمها، وهو بدوره يعطي الأولوية للنحو التعليمي الذي يعتبره ركيزة أساسية في التكوين العلمي، وذلك لأهميته في الحياة الثقافيّة))^(٢٢).

يقول ابن حزم: ((يقتضي في علم النحو كلّ ما يتصرّف في مخاطبات الناس، وكتبهم المؤلفة، ويقتضي من اللغة المستعمل الكثير التصرّف، وأقل ما يجزي من النحو)) (كتاب الواضح للزبيدي) أما نحا نحوه ((كالموجز لابن السراج)) وما أشبه هذه الأوضاع الحقيقة، وأمّا التعمّق في علم النحو ففصول لا منفعة بها، بل هي مشغلة عن الأوكد، ومقطعة دون الأوجب والأهم، وإنّما هي تكاذيب فما وجه الشغل بما هذه صفته ؟ ، وأمّا من هذا العلم فهي المخاطبة، وما بالمرء حاجة إليه في قراءة الكتب المجموعة في العلوم فقط، فمن يزيد في هذا العلم إلى أحكام كتاب سيبويه فحسن، إلّا أنّ الاشتغال بغير هذا أولى، لأنّه لا منفعة للتزيّد على المقدار

١٩ - أصول ابن السراج، ابن السراج: ١ / ٣٧.

٢٠ - نفسه: ١ / ٣٢٨.

٢١ - ينظر: البحث اللغوي، محمود فهمي حجازي: ١٢٧.

٢٢ - تيسير العربيّة بين القديم والحديث، عبد الكريم خليفة: ٥٥.

الذي ذكرنا، إلا لمن أراد أن يجعله معاشاً فهذا وجه فاضل، لأنّه باب من أبواب العلم على أي حال^(٢٣).

وأما موقف الجرجاني، فهو يجد عذراً لمن صغّر أمر النحو، وقّل من شأنه، وكان عذره لهم إشارات تفرّق بين النمطين الذين أشرنا إليهم فيما سبق، يقول: ((فإن قالوا إنّنا لم نأب صحّة هذا العلم، ولم ننكر مكان الحاجة إليه في معرفة كتاب الله تعالى، وإنّما أنكرنا أشياء كثرتموه بها، وفضول قول تكلفتموها، ومسائل عويصة تجشمت الفكر فيها، ثمّ لم تحصلوا على شيء أكثر من أن تغربوا على السامعين، وتعايوا بها الحاضرين))^(٢٤)، ثمّ يستوضح مرادهم وما ذهبوا إليه فيقول: ((فإن بدأوا فذكروا مسائل التصريف التي يضعها النحويون للريضة، ولضرب من تمكن المقاييس في النفوس، كقولهم: كيف تبني كذا من كذا؟ وكقولهم: ما وزن كذا؟ وتتبعهم في ذلك الألفاظ الوحشية، كقولهم: ما وزن ((عزويت))؟ وما وزن ((أرونان))؟ وكقولهم في باب ما لا ينصرف: لو سمّيت رجلاً بكذا، كيف يكون الحكم، وأشباه ذلك، وقالوا أتشكّون أنّ ذلك لا يجدي إلا كدّ الفكر وإضاعة الوقت))^(٢٥).

وهنا يسلم الجرجاني بوجهة نظرهم فيقول: ((أمّ هذا الجنس فلسنا نعيبكم إن لم ينتظروا فيه، ولم تعنوا به، وليس يهمنّا أمره، فقولوا فيه ما شئتم، وضعوه حيث أردتم))^(٢٦).

إنّ الموقف الذي تبناه الجرجاني من وسائل النحاة وتمارينهم غير العملية التي تحمّل اللغة ما ليس فيها، إذ لا تزيد المتعلّم فقهاً بأساليبها، ولا قدرة على استعمالها من ناحية، ودعوته إلى الإحاطة بمعارف النحو والإلمام بحقائقه من ناحية أخرى، كل ذلك ينبع من إدراكه الفرق الواضح بين منهج يعمل الفكر في النحو، إذ يتعدّى الواقع اللغوي المستعمل، ويخوض في مسائل التأويل والافتراض وكدّ الفكر بهذا التوجّه نتيجة محتملة، وآخر يحمل صيغة عمليّة يكتفي بتزويد المتعلّم بالضروري والنافع من هذا العلم.

يبدو لي أن مدار هذا التفريق الذي ذهب إليه السابقون، يتّفق مع ما صدر من ابن خلدون في مقدّمته؛ وذلك من خلال وعيه بوجود علوم تقصد بالذات، وأخرى آليّة تكون وسيلة لغيرها،

٢٣ - رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس: ٦٦/٤.

٢٤ - دلائل الإعجاز: ٢٩.

٢٥ - دلائل الإعجاز: ٢٩.

٢٦ - نفسه: ٢٩.

فالنحو يقع من ضمن العلوم الآلية التي لا يغني التوسُّع فيها، فنجدّه يؤكِّده بقوله: ((فأمّا العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها، وتفرّيع المسائل، واكتشاف الأدلّة والأنظار،..... وأمّا العلوم التي هي آلة غيرها مثل العربية والمنطق وأمثالها، فلا ينبغي أن ينظر فيها إلّا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط، ولا يوسع فيها الكلام، ولا تفرّع فيها المسائل ؛ لأنّ ذلك يخرج بها عن المقصود،..... فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعاً للعمر وشغلاً بما لا يغني))^(٢٧).

ويعدّ النحو من العلوم التي تكون وسيلة لغيرها، فإنّ هذا تصوّر كان ماثلاً بإزاء الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، فأقرّه في مقدمة كتابه (المفصل)، وهو يردّ على الذين يحطّون من قدر العربية ينهون عن تعلّمها وتعليمها أيضاً، فيورد ما نصّه: ((وذلك أنّهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية، فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها إلّا واقتارّه إلى العربية بين لا يدفع، ومكشوف لا يتقنّع . ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنياً على علم الإعراب، والتفسير مشحونة بالروايات عن سيبويه والأخفش والكسائيّ والفراء، وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيين))^(٢٨)، وهذا يؤكّد بوضوح أهمية تعليم النحو والاكتفاء بالضروري منه؛ للوصول إلى جوهر تلك العلوم، التي لا تغني عن معرفة الإعراب، والإفادة من أدوات العربية وعلومها.

وتجدر الإشارة إلى أنّه على الرغم من تلك الجهود الرامية إلى وضع حدّ فاصل ومنهجيّ بين النمطين والسعي نظرياً إلى محاولة فرز كل مسار على حدة، فإنّ ذلك لا يعني محاولة التقليل من قيمة الاتجاه الآخر (العلمي)، برغم الإفراط والتطويل والتفلسف في بعض مسائله، فابن حزم يرى أنّه ((وجه فاضل وباب من أبواب العلم))^(٢٩). وهو ما اتفق على أهميته النحاة القدماء معظمهم، فكذا الجرجاني خصّ من أنكر هذا الضرب بأنه قد أساء الاختيار، وحرّم نفسه من الاطلاع على مدارج الحكمة وجمال أسرارها وينبغي أن توفّي أبواب النحو حقها من الدراسة^(٣٠).

٢٧ - مقدمة ابن خلدون: ٧٢٣

٢٨ - المفصل في صنعة الإعراب: ٦-٧.

٢٩ - مراتب العلوم: ٦٧.

٣٠ - ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٠ .

أما ابن خلدون فذهب إلى أن ((من نزلت به همته بعد ذلك إلى شيء من التوغل، ورأى في نفسه قياماً بذلك وكفاية به فليرق له ما شاء من المراقبي، صعباً أو سهلاً. وكل ميسر لما خلق له))^(٣١).

ولكن ليس من الإنصاف أن يخلط العالم بين العلم نفسه وبين طريقة تعليمه، وليس من العدل، أيضاً، أن يحمل القصور على التصرف فيه قصد الملائمة بين ما يعلم ومستوى المتعلم على العلم ذاته، كما أنه ليس من الطبيعي أن ينكر المنكر على النحوي أن يبحث عن الأسس المعرفية لعلومه، وأن يتخصص فيه وأن يسعى ليكون لعلومه جهاز تفسيري، ونظرية تبدو وجيهة لتقديم تصور شامل لهذه اللغة^(٣٢).

فإن كانت هذه الرؤية وتلك التصورات ماثلة أمام القدماء، فهي أولى أن تكون الركيزة التي اعتمدها المحدثون لبيان دلالة مصطلح (النحو التعليمي) واستقراره عندهم، إذ بدت ملامحه تتحصر في ما يقدمه الدرس النحوي من وظائف للمتعلمين، يطبقونها في كلامهم إن تكلموا، وكتاباتهم إن كتبوا، وقد أكد ذلك الدكتور محمد إبراهيم عبادة في أن الغرض الأساس من الطابع التعليمي ((عرض مسائل النحو وقضاياها حتى يتسنى للدارسين الوقوف عليها أملاً في استيعابها ومراعاتها عندما ينطقون أو يكتبون))^(٣٣)، مفرقاً بينه وبين مقابل له وسمه (("الطابع النظري" والغرض منه بيان ما يسمى فلسفة النحو))^(٣٤)، وعلى هذا التصور يضع الدكتور علي أبو المكارم التأليف في النحو على قسمين^(٣٥): الأول خاص بالبحث النحوي، والثاني خاص بأساليب تعليمه، وعني الأول منها برصد الظواهر الناتجة عن تركيب الكلمات والمركبات في الجملة، بتحليل استقرائي لنصوص اللغة المقصود وضع القواعد لها، وما يتطلب ذلك من تفسير وتصنيف، إذ يلجأ هذا الصنف في بعض الأحيان إلى استعارة أدوات من علوم أخرى لاستكمال أهدافه، أما التعليم فأمره مختلف مهمته تحدد في تمكين المتعلم من إدراك الظواهر اللغوية مطردة الوجوه، والناتجة عن تركيب الجملة العربية، والوعي بضوابطها، ثم التمرس باستعمال هذه الضوابط في تحديد ما بداخلها من علاقات، إذ لا بد، في هذا الصنف، أن تتحصر هذه

٣١ - مقدمة ابن خلدون: ٧٢٤.

٣٢ - ينظر: نظرات في اللغة، عبد القادر المهيري: ١٤١.

٣٣ - النحو التعليمي في التراث العربي: ١٥.

٣٤ - نفسه: ١٢.

٣٥ - تعليم النحو عرض وتحليل: ٢١.

العلاقات بوصف ما هو مطّرد وشائع ولازم من دون تجاوز الأمور إلى التعليل والتفسير والتأويل والتأصيل.

وخلاصة القول تتجلى في أنّ معظم المحدثين يتفقون على أنّ النظام النحوي، منذ بدايته حتى عصرنا الحاضر، يؤطره خطابان؛ كما يرى الدكتور أحمد حساني^(٣٦)، أحدهما: يمكن أن ينعت بالخطاب الفلسفي الديني، وهو الخطاب الذي له حضور إلزامي في التراث النحوي منذ نشأته إلى الآن، وهو خطاب اطرادي لم يتغيّر ولم يتبدّل، وتتبدّى ملامحه في:

١ - تأثير المرجعية النظرية (الفلسفة الكلامية والفقهية) في توجيه مسأله الاتفاقية والخلافية.

٢ - المفاهيم المجردة التي تكون المتن الاصطلاحي للنحو العربي، وهي مفاهيم مقحمة إقحاماً شديداً ليست لها صلة بطبيعة اللغة.

٣ - الإجراءات التطبيقية القائمة على الجدل الفلسفي والعقائدي والخلافات المذهبية.

أمّا الخطاب الآخر فهو الخطاب التعليمي الذي بدأ يتشكّل من الشعور بضرورة تبسيط التنظير النحوي وتيسيره بكيفية تجعله في متناول المتعلّم العربي الممارس للسان العربي بالتعلّم وليس بالسليقة.

إنّ الجهود التي أفاض بها المحدثون في هذا المجال تجلّت في متابعة مصطلح "النحو التعليمي" في جذوره الأولى، وإشارات القدماء له وصولاً إلى تحديد مفهوم واضح، وجهاز مفاهيمي يؤطر حدود اشتغاله ودلالته، عبر تحديد جملة من الخصائص التي تميّزه من غيره، كان أهمها^(٣٧):

١ - العدول عن التقريعات الذهنية.

٢ - عدم الإسراف في التقسيمات والتعليلات.

٣ - الاكتفاء بالقاعدة مجملّة من دون تفصيل.

٤ - النأي، ما أمكن، عن المسائل الخلافية.

٥ - عدم العناية بالشواهد.

٣٦ - النظام النحوي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي: ٣٨٥ - ٣٨٦.

٣٧ - ينظر: خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري، سعود بن غازي أبو تاجي: ٩٣.

٦ - الاكتفاء من المذاهب المختلفة بأيسرها على الطالب.

أمّا الدكتور كريم حسين ناصح فقد ذهب إلى العناية بتفصيلات أكثر دقة بغية وضع حدود واضحة ودقيقة للنحو التعليمي منها^(٣٨):

١ - الجنوح إلى السهولة في التعبير والوضوح في الفكرة والبساطة في التنظيم في عرض الموضوعات النحويّة.

٢ - الابتعاد عن ذكر الخلافات بين نحاة المدرستين النحويتين البصرية والكوفيّة لما يجره ذكر أوجه الخلافات من تعقيد للمسائل وتشتيت للذهن.

٣ - الإكثار من وسائل التدريب، وهي خطوة لا تفارق المنهج التعليمي؛ لأنّ المسائل النظرية وصياغة الأحكام النحويّة في قواعد جامدة تجعل المتعلّم ينفر من دراسة النحو.

٤ - التدرّج في التأليف بطريقة تتلاءم مع مستوى المتعلّم.

٥ - اتباع الطرائق المناسبة للمتعلّمين، في عرض المادة، وإغناء القاعدة النحويّة بجمل بعيدة عن التعقيد والتأويل، واتباع أسلوب سهل، مع إضافة عبارات تعليميّة خاصّة، مثل: (اعلم وقس... الخ) إذ لابد من النحو التعليمي أن يتّسم بالوضوح، سواء على مستوى المادّة النحويّة أم على مستوى المنهج المتّبع في التأليف.

خاتمة

إنّ هذه الخطوة الرامية إلى تحديد الجهاز النظري للمصطلح، وتأطير حدود اشتغاله، تجعل منه مصطلحاً متكاملًا، يتمتّع برؤية واضحة، ومعايير محدّدة دقيقة، تمتدّ في تصوراتها الأولى إلى وعي القدماء بضرورتها، ومحاولة تعيين ملامح اشتغالاتها بوعي مبكّر، أفاد منه المحدثون في تشكيل تصوّر أكثر وضوحاً للمصطلح ودلالته وحدود اشتغاله، حتى استوى محمولاً معرفياً واعياً بتطبيقاته.

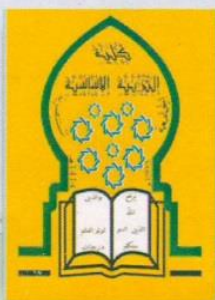
مصادر البحث

- ١- الأصول في النحو ، أبو بكر بن السراج، تحقيق : عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، الطبعة :الثانية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م
- ٢- البحث اللغوي ، محمود فهمي حجازي ، الناشر: دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ١٩٩٣م.

٣٨ - ينظر: مناهج التأليف النحوي: ٥٨ - ٦٨.

- ٣- تعليم النحو-عرض وتحليل، علي أبو المكارم، الناشر : مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-١٠٠٧م.
- ٤- تيسير العربية بين القديم والحديث ، عبد الكريم خليفة ، الناشر: مجمع اللغة الأردني،الأردن، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- ٥- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: أبو فهر و محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر، الطبعة: الثالثة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ٦- رسائل ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق: احسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٣م.
- ٧- رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون،الناشر: دار الجيل ،بيروت-لبنان، الطبعة : الأولى ، ١٤١١هـ-١٩٩١م
- ٨- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستربادي ، تحقيق: محمد الزفزاف ، محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي في القاهرة.
- ٩- فهارس كتاب الأصول فب النحو لأبي بكر بن السراج، الدكتور محمود محمد الطناحي ، الناشر : مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٠- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ،بيروت لبنان ، الطبعة :الأولى ، ١٩٩١م.
- ١١- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق: مهدي المخزومي ، ابراهيم السامرائي، الناشر : مؤسسة دار الهجرة ، إيران ، الطبعة : الثانية ، ١٣٠٩هـ.
- ١٢- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي ، تحقيق : علي دحروج و عبد الله الخالدي و جورج زيناتي، الناشر مكتبة لبنان (ناشرون) ، بيروت لبنان ،الطبعة :الأولى ، ١٩٩٦م.
- ١٣- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأفريقي ، الناشر: دار صادر ، بيروت ،الطبعة: الثالثة ، ١٤١٤هـ
- ١٤- المدارس النحوية ،خديجة الحديثي ،الماشر : مؤسسة الرافد للمطبوعات ، بغداد، الطبعة : الأولى، ١٤٣٤هـ-٢٠١٢م.
- ١٥- مراتب النحويين ، أبو الطيب عبد الواحد بن علي الحلبي، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ،الناشر : المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان، الطبعة : الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ١٦- معجم العلوم النفسية ، الدكتور فاخر عاقل ،الناشر: دار الرائد العربي،بيروت-لبنان، ١٩٨٨م.
- ١٧- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ١٨- المفصل في علم العربية ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: سعيد محمود عقيل ، الناشر : دار الجيل ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ١٩- مقاييس اللغة ،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩
- ٢٠- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون،تحقيق: يحيى مراد، الناشر مؤسسة المختار ، القاهرة ، الطبعة : الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٢١- مقدمة في النحو ،خلف بن حيّان الأحمر البصري،تحقيق: عز الدين التنوخي، مديرية إحياء التراث القديم لوزارة الثقافة والإرشاد ، دمشق -سوريا، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.
- ٢٢- مناهج التأليف النحوي، كريم حسين ناصح الخالدي، الناشر دار صفاء ،عمّان - الأردن، الطبعة :الثانية، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- ٢٣- الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي، الناشر :مؤسسة الأعلمي ،بيروت- لبنان، الطبعة :الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٢٤- النحو التعليمي في التراث العربي ، محمد ابراهيم عبادة ، الناشر : منشأة المعارف بالاسكندرية، مصر ، الطبعة: الأولى ، ١٩٨٦م.

- ٢٥- النظام النحوي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي، أحمد حساني ، الناشر: المجلس الأعلى للغة العربية
، الجزائر ٢٠٠١م.
- ٢٦- نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القاهر المهييري، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان،
الطبعة : الأولى، ١٩٩٣م



No:
Date:

العدد : ٧٣
التاريخ : ٢٠١٨/٤/٢٣

قبول البحث للنشر

السيد / أ.م.د. مهدي حارث الغانمي ، سلام مهدي حسين

بعد التحية ...

تدارست هيئة التحرير البحث المقدم من قبلكم والموسوم :
النحو التعليمي أصل النشأة والتطور

وبعد الاطلاع على آراء المقومين فقد قررت في جلستها ذي الرقم
المنعقدة بتاريخ ٢٠١٨/٤/٢٣

قبول البحث للنشر وسينشر في الأعداد المقبلة من المجلة .
إجراء التعديلات قبل إعادة النظر في قبوله .
رفض البحث ونأمل ان تتمكنوا من نشره في مجلة أخرى .



الاستاذ الدكتور
كريم طلال الركابي

رئيس التحرير

٢٠١٨/٤/٢٣

